كذبه وعجزه في الابحاث العلمية . ومن طلب تاريخه فليراجع كتاب (باب الابواب) أو مفتاحه لمنشئ جريدة « حكمت » الفارسية المصرية

وليت شعري ما كان يدعي بعد هذه الدعاوي لو امهله الدهر وساعدته العامة؟ « نعم » لا يستقيم سوياً على صراط من حاد عن الحق * ويضطرب الرأي ممن لم يفز بحقيقة * ولا يثابر على خطة من لم يكن على يقين *

فهلا يكفيك اضطراب رأيه الظاهر من تلوناته وتقلباته في خطته شاهداً على خطاه وزلله ، أم نسيت ما قدمناه في صدر البحث تمهيداً لفواتحه ، والسلام على من اتبع الهدى

من نجف بالعراق

هبة الدين الشهرستاني

منشئ مجلة العلم

باب الاجوبة والآراء

﴿ أرباب الاقلام في بلاد الشام ﴾

« ومشروع الاصفر »

أشرنا في المقالة الاولى التي كتبناها عند إعلان الدستور الى ما أمامنا من العقبات والمشكلات السياسية والادبية والاقتصادية في طريق هذا الطور الجديد من الحكم ، وقد وقع جميع ما كنا نتوقع ، وما أشرنا اليه في تلك المقالة بالاجمال ، وعدنا الى بيانه بعد ذلك بالتفصيل قولنا « ان الحرية ما حلت في بلاد كبلادنا خصبة التربة جيدة الانبات ، غنية بالمعادن والغابات ، قابلة لرواج التجارة والصناعات ، الا وتدفقت عليها أموال أوربا لاجل استثمارها فيها ، وهناك من أبواب الرجاء للبلاد والخوف عليها ما لا يفطن له الآن في الامة الا الافراد من الناس . فمن المطالب بتنبيه الامة الى طرق الثروة الطبيعية مع حفظ رقبة بلادها ، والحذر من قضاء الديون الاجنبية عليها ؟ الخ

ثم كان المنار هو السابق لجميع الصحف على ما نعتقد سا الى التنبيه على نفوذ اليهود

الصهيونيين في جمعية الاتحاد والترقي وما في ذلك من التسلط على الدولة حتى أنكر علينا ذلك بعض اصدقائنا المخلصين من المسلمين وغير المسلمين بمصر ورد علينا بعض اليهود في جريدة المقطم ، ولم تلبث الحقيقة ان ظهرت بعد ذلك في مجلس الامة العثمانية أولا ثم على لسان الصدر الاعظم حقي باشا الذي صرح في خطاب له بأن اليهود هم اصحاب المستقبل في هذه الدولة حتى في أمورها الادارية والعسكرية — فهذه مقدمة أولى للكلمة التي نريد أن نقولها الآن

مقدمة ثانية : اننا كنا كتبنا مقالا نشر في المنار وفي بعض جرائد بيروت نبهنا فيه اخواننا العثمانيين الى المشابهة بين ما يستقبلون في هذا الطور البعيد من الحياة الذي دخلوا فيه و بين ماسبقهم اليه اخوانهم المصريون من مثله ، وهو طور حرية الاقلام والاعمال ، وذكرناهم بان يعتبروا بحال مصر ويتقوا ما استبان لهم ضرره ، ويأخذوا ما استبان لهم نفعه ، و بينا لهم ما اختبرناه بنفسنا من ضرر ومفسدة ما جرى عليه بعض اخواننا الكتاب المصريين من رمي بعضهم بعضا بخيانة الوطن وايثار مصلحة الاجانب فيه على مصلحة أهله . فمن بهذه البدعة بعض المغرورين الطائشين وغلوا فيه غلوا كبيرا حتى لم يخجل بعضهم من التصريح بأن مشروع الدعوة الى الاسلام وارشاد المسلمين الى حقيقة دينهم وما فيه من الخير لهم في دنياهم يراد به خدمة الاجانب من غير المسلمين !! فكان مثل هذا الكاتب كمثل بعض أهل الشام الذي اعتاد ان ينبذ من يخالف رأيه بلقب وهابي حتى اذا كان يحدث بعض أدباء النصارى فلما خالفه قال له أنت وهابي !! فقال له ذلك الاديب بل انا مسيحي مارغبت عن ديني ! قال كلا انما انت وهابي !!

مقدمة ثالثة : الخلاف في الرأي طبيعي في البشر لابد منه ، ونافع لا شك في فقهه ، ولو لم يكن لوجب أن يوجد بالتكلف ان لم يوجد بالطبع ، وهو ضار اذا أدى الى الشقاق والتفرق ، وان أهل العلم والفضل يتناظرون في المسائل العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فيكون أحدهم موجبا والآخر سالبا بالمواضعة والاتفاق ، وان لم يسبق لهم فيها خلاف ، وانما غايتهم بيان الحقيقة بالبحث عن كل ما يمكن ان يصل اليه الفكر فيها . كذلك تؤلف الاحزاب في المجالس النيابية ليؤيد

بعضهم الحكومة في سياستها وادارتها ، وينقدها البعض الآخر فيهما ، ويغرض الفريقين واحد وهو بيان المصلحة الحقيقية للبلاد . فلا يصح ان يرمى المحرب الموافق للحكومة بأنه سيء النية يريد ان يساعدها على الاستبداد بالامة ، ولا ان يرمى المحرب المخالف بأنه عدو الدولة »

بعد هذه المقدمات أقول انه قد ساءني ما كان من خلاف جرائدنا السورية في (مشروع الاصفر) ونبز بعضهم بعضا بالألقاب ، ونزولهم الى مالا ينبغي من من الطعن والسباب ، حتى جعل بعضهم اشهر الجرائد بالاخلاص موضع الارتياب

مشروع الاصفر من المسائل الاقتصادية الجديرة بأن يختلف فيها الباحثون ولو لم يختلفوا بالفعل لحسن منهم ان يتواطئوا على الخلاف فيتكلف بعضهم استنباط كل ما يمكن ان يستنبط له من المضار ، و بعضهم استنباط كل ما يمكن استنباطه من المنافع ، ثم يحكموا بعض اهل الروية والعلم في الترجيح او يدعوه الى الحكومة والرأي العام ، ومناظر الانسان نظيره فمن رمى مناظره بالخيانة وسوء النية كان طاعنا في نفسه ، وموقفا لها موقف التهمة ، والتزاحم على المنفعة ،

إني لم أعن بدرس « مشروع الاصفر » الاول لاني رأيته يتقلب بين ألسنة المبحثين ، واقلام الصحفيين ، فتركته لهم ، ولكنني كنت أميل الى رفضه ، ورأيتهم كذلك يميلون ، ولا عنيت به بعد تنقيحه أيضا ، ولا تتبعت ما يجيئني من الجرائد التي تبحث فيه ، فانا لا أحكم فيه نفسه ، وانما أقول كلمات يصح ان تكون لمن وعاها من اسباب الحكم الصحيح فيه ، وهي

(١) ان عمران بلادنا يتوقف على استعمال الاموال الاوربية فيها وزمام هذه الاموال في أيدي اليهود ، وأضرب لذلك مثالا وقع بمصر وهو ان بعض الناس قال لتاجر يهودي وقد ساومه في « ساعة » إني لا أريد ان اشتري شيئا يربح منه اليهود ، فقال اليهودي اذاً لا تشتر شيئا قط . ولاجل هذا يصانع الاتحاديون اليهود الصهيونيين وغير الصهيونيين ، فاذا كان اخواننا السوريون لا يقبلون مشروعا فيه أموال لليهود فليعلموا ان معنى هذا انهم لا يقبلون مشروعا عمرانيا كبيرا في بلادهم مطلقا ، وبعبارة اخرى لا يقبلون ان تعمر بلادهم

(٣) ان أهل بلادنا السورية بل العثمانية كلها عاجزون عن القيام بالمشروعات الكبيرة من زراعية وصناعية وتجارية لا لفقد ما هم فقط ، بل لذلك ولجهلهم بما تتوقف عليه تلك المشروعات من العلوم والفنون والاعمال الهندسية والآلية ، فهم في اشد الحاجة الى الاستعانة على تلك المشروعات بأموال الاوربيين ورجالهم ، والى الاحتكاك بهم والاشتغال معهم لاجل التعلم منهم

(٣) إن الخطر من الصهيونيين ينحصر عندي في شيء واحد وهو امتلاكهم للارض المقدسة فينبغي لكل من يقدر على حمل الحكومة العثمانية على منعهم من ذلك ان لا يألو فيه جهدا ولا يدخر سعيا .

( ) إن الخطر من استعمال اموال الاجانب اليهود وغيرهم ينحصر عندي أيضا في أمرين أحدهما غرق الاهالي او الحكومة في الديون ، وثانيهما تغليبهم لرقبة البلاد ، بأن يكون اكثر الارض او الكثير منها لهم

(٥) اذا عدونا هذين الخطرين فلا يضرنا ان نستخدم اموال اليهود العثمانيين واموال الاجانب من اليهود وغيرهم في المشروعات التي نعمر بها بلادنا بالزراعة واستخراج المعادن وغير ذلك ، بل ذلك نافع لنا بل لا بد لنا منه الا اذا اخترنا الخراب على العمران ، والفقر على الغنى ، وماذا نخاف بعد هذا ؟

انا رأينا العبرة في مصر بأعيننا : زادت ثروة هذا القطر بأموال الاوربيين وأعمالهم أضعافا مضاعفة ، وكثر فيها الاغنياء ، ولولا جرأة الفلاح المصري على الاستدانة بالربا الفاحش وغير الفاحش بغير حساب يوازن فيه بين دخله وبين ربا الدين الذي يأخذه بغير حاجة شديدة اليه في الغالب ـ ولولا الاسراف والقمار والمضاربات لما كان على المصريين دين يذكر بالنسبة الى ثروتهم العامة ، ولكانوا اغنى شعوب الارض . على أنهم اذا ثابوا الى رشدهم ، وعني المتعلمون منهم بالثروة والاقتصاد بعض ما يعنون بالسياسة ، فانه يمكن لهم ان يفوا ديونهم في زمن قريب ، وعند ذلك يكون لهم شأن صحيح في السياسة ، أساسه القوة الحقيقية ، لا القوة الكلامية ،

فاضت أنهار الذهب الأوربي على مصر في زمن لم يكن لمصر فيه مثال سابق تقيس حالها عليه لتشبهها به ، ولا منار تهتدي به في مجاراتها الاقتصادية ، ولكنها

انشأت تعلم بالتجارب ونفقات علم التجارب كثيرة ، وقد ظهرت بواكر ثمرة علمها بالتوجه الى إنشاء النقابات الزراعية لوقاية الفلاحين من غوائل الربا الفاحش وحفظ ثروتهم ، وانشاء الشركات التجارية والصناعية ، انشأوا يعملون بما تعلموا من الاوربيين فكانوا في أول عملهم كالطفل الذي بدأ يتعلم المشي يمشي خطوة ويسقط ، وقد كنا كتبنا في المنار مقالات ونبذا في ذلك عنوانها (طفولية الامة)

اما العثمانيون وأخص منهم السوريين فأمامهم المثال الظاهر والمنار المضيء وهو مصر ، فليعتبروا بحالها ، ولا يقبلوا في أمثال هذه الامور كل رأي ، ولا يتبعوا فيها كل ناعق ، وليحذروا ممن يسمعونهم العامة اليهم بما يروج عادة في سوقهم ، وهو الانذار والتخويف واذاعة السوء ، فان الجمهور يرجح دائما خبر الشر على خبر الخير

ليس أمر مشروع الاصفر يد الجرائد التي تراه نافعا ولا التي تراه ضارا وإنما أمرها الى مجلس الامة وحكومتها العليا ، فلتقل كل جريدة ماتشاء في بيان نفعه وضره ، من غير طعن ولا لعن ، فاذا نفذ بعد ذلك كان أهل البلاد على بصيرة من الانتفاع به والتوقي من ضرره ، وانما ودته تلك الكتائب ، وفاءت السكائن ، وكفى الله المؤمنين القتال

﴿ مسألة اليمن واتفاق الحكومة مع الامام ﴾

كنا اقترحنا على الدولة قولا وكتابة أن تتفق مع الامام فتعترف له بزعامته وتقره على إمامته في قومه حسب اعتقادهم ، وترضى منه بما يقبله في مقابلة ذلك من الاعتراف بسيادة الدولة على اليمن وكونه هو نائبا لها . وبعد الاتفاق على هذين الركنين يسهل الاتفاق على كل شيء ، بل نبهنا الدولة على ماهو أهم من ذلك لتمكين سلطتها في جزيرة العرب كلها بمثل هذا الاتفاق مع أمرائها

كان من سعي في مسألة اليمن ان اقترحت على رؤف باشا المعتمد العثماني بمصر — والفتنة في ربيعها والعسكر يساق الى اليمن تباعا — أن يخاطب حكومة الاستانة في أمر الاتفاق مع الامام بلسان البرق ، وقلت له إنني موقن بأن الامام يرضى بالاتفاق ويكره ان يحارب الدولة باختياره ، وانني أتجرأ ان أضمن ذلك بشرط ان تعترف الدولة بإمامة الامام وزعامته في قومه وعدم نزع السلاح منهم ، والامام يعاهدها على عدم الخروج عليها وعلى تأمين البلاد ، وما زالت العرب تدين بالوفاء في الجاهلية والاسلام الخ ماذكرته له . فقال ان الخطابات البرقية وغير البرقية لا تكفي للاقناع في مثل

هذه المسألة ولعلنا نتكلم فيها عند ما نذهب الى الاستانة في فصل الصيف

أما الاصول التي قررتها اللجنة التي ألفت في الباب العالي لاجل وضع النظام لاصلاح اليمن فهي على ما نشر في الجرائد عشرة (١) تقسيم اليمن وعمير الى ولايات (٢) ان يعين مشايخ القبائل حكاما اداريين أي متصرفين في الاولوية وقائمقامين في الاقضية ومديرين في النواحي (٣) ان يصرف النظر عن أصول المحاكمات التي عليها العمل في الدولة هنالك ويستبدل بها محاكم شرعية تحكم في الدعاوى (٤) ان تنشأ الطرق والمعابر العسكرية وتؤسس المدارس وافتحها الابتدائية (٥) ان يمنح الامام يحيى رياسة اليمن الروحية (٦) أن تبتاع نسافات تحافظ على السواحل وتكون سدا دون تهريب السلاح والذخائر الحربية وان تنشأ المعامل العسكرية اللازمة (٧) ان يعفى اليمانيون كافة من الخدمة العسكرية ويوفد من سورية وطرابلس الشام يقومون بها هناك ، أو يأخذها الناس من العربان بالاجرة (٨) ان يسمح للعربان بحمل السلاح موقتا (٩) ان تلغى الضرائب ويحصر التبغ (الدخان) لانه يسهل تهريب السلاح (١٠) ان يعين الولاة من أصحاب الفطنة والحنكة والدراية ويمحوا السلطة الواسعة

هذه الاصول ليست فيما نرى اصلاحا كافيا لليمن ولكنها ترضي اليمانيين وتسكن ثائرتهم الى أن تتمكن الدولة من ضبط السواحل ومنع السلاح ومن امتلاك أعنة الرؤساء والمشايخ بالوظائف والرواتب ، وإعداد القوة العسكرية من غير أهل البلاد لتنفيذ كل ما تريده الحكومة بالقوة . وبعد هذا يجمع السلاح من الاهالي ويحملون على كل ما تريده الحكومة منهم ومساواتهم بسائر اليمانيين . ولو كان لنا ان نقترح لاقترحنا ولكننا نتمنى ان توفق الدولة الى اختيار الولاة من الرجال الموصوفين بما ذكر في الاصل العاشر وبالديانة والاخلاص في العمل ، فعلى هذا جل المعوّل ، وما حرك الفتن هنالك في كل زمن الا أولئك الولاة الطغاة العتاة الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون

وسوف نرى ما هي المدارس التي تنشأ هناك وماذا يعلم فيها ، وما هي الطرق والمعابر التي تنشأ للعسكر وللزراعة والتجارة ، وكيف تكون المحاكم ، ونبدي رأينا في ذلك فانه هو كل حظ اليمانيين من الاصلاح العملي . وكان من مصلحتهم ومصلحة الدولة ان يدخلوا في الخدمة العسكرية ويتعلموا في بلادهم ، ويقوموا فيها بكل ما تحتاجه الحكومة من الجند في الداخل ، وينفروا اذا استنفروا لمحاربة كل عدو مهاجم ، واذا جرى الاصلاح في طريقه المستقيم وزالت مخاوف القوم وريبتهم التي غرستها في نفوسهم المظالم السابقة فانهم يطلبون ذلك من تلقاء أنفسهم

اما مسألة عسير فكادت تكون أعسر من مسألة اليمن وأعقد ، واحصى على من يحلها وأبعد ، فقد عظم فيها نفوذ السيد الادريسي الروحي وارتابت فيه الدولة فحاربته ، واستعانت عليه بأمير مكة الشريف حسين المشهور بالروية والحزم والاخلاص للدولة ، فسار الى عسير بنفسه وبعض أفضاله يقودجيشا مؤلفا من عسكره الخاص وعسكر الدولة النظامي فحارب الادريسي بقوته العسكرية والمعنوية حتى فك الحصار عن أبها عاصمة بلاد عسير وأجلى الادريسي الى عمق الجبال فامتنع فيها ، والامير أعزه الله كان أجدر من قواد الحروب بايثار الصلح والسلام ، وحفظ الدماء بالنفوذ الروحي وقوة الخطابة والبرهان ، ويقال انه كان يريد هذا وان الادريسي أبى عليه فتح باب الكلام ، وقد داوى الامير ماجرح بالاحسان الى أهل البلاد التي دخلها في عسير وانشاء المساجد والمدارس لاهلها ، ثم عاد الى الحجاز مؤيدا منصورا ، ولكن الدولة ترى ان عقدة عسير العسكرية لما تحل

﴿ الازهر وملحقاته بعد القانون الجديد ﴾

أتممنا نشر قانون الازهر والمعاهد الدينية التابعة له في القطر المصري . وقد قامت قيامة الاحزاب بهذا القانون وقعدت ، وأجتمعت وافترقت ، وصوبت وخطأت ، وأرى ان المعارضين للحكومة وقد تركوا لب الباب فلم يظهروا الاهتمام به في جرائدهم ولا في مجلس الشورى . وكان بعض أعضاء مجلس الشورى اعترضوا على جعل حق اختيار شيخ الجامع للامير وعلى انعقاد مجلس الازهر الاعلى تحت رياسته ، فأطلقت جرائد الاحزاب المعارضة على هؤلاء الاعضاء لقب الحزب المر" واحتفلوا بهم احتفال التكريم

أما لب الباب ، والامر الجديد في هذا الباب ، الذي سكت عنه رجال هؤلاء الاحزاب ، فكان سكوتهم العجب العجاب ، فهو ان الازهر وملحقاته كانت من من المدارس الحرة المستقلة في أمرها دون الحكومة الواقعة تحت سيطرة الاحتلال ، فأصبح الآن مصلحة من المصالح التابعة للحكومة كسائر مصالحها . وهذا ما كان يتقيه ويحذره الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كما صرحت به في المنار من قبل

فالمعارضون للحكومة إما ان يكونوا لم يفهموا هذا الامر الجديد العظيم وذلك منتهى الجهل والغفلة ، واما ان يكونوا قد اعتقدوا ان إصلاح التعليم الديني في البلاد لا يمكن ان يكون الا بيد الحكومة لان الامة عاجزة عنه ومحتاجة الى مراقبة الاحتلال

بواسطة الحكومة حتى على شؤونها العلمية الدينية، وهذا يناقض مايقولون كل يوم، فهل عندهم من وجه ثالث فيظهروه لنا وللأمة كلها ان كانوا لخدمتها يحسنون

﴿ رأي فاضل في الانفاق النافع والمنار ﴾

جاءنا الكتاب الآتي من ذلك المحسن المستتر الذي تبرع بستة جنيهات مصرية لادارة المنار لتوزع بقيمتها نسخا منه على من تراهم أحق بها، وقد رأينا انه يود نشره ليظهر رأيه للقراء وينبههم الى القدوة الصالحة وهذا نص الخطاب

القاهرة في ٦ اغسطس سنة ١٩١١

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله وزاده هدى وتوفيقا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فارسل الى حضرتكم الجنيه الباقي من الستة جنيهات التي خصصت للعشرة اشتراكات في مجلة المنار. ولعلي بذلك اكون جئت بمثال حسن لمسلمي هذا القطر وسأرسلني الاقطار الذين ينفون الانفاق حبا في الخير وتقربا من الله فلا يهتدون لسبله النافعة وطرقه الصحيحة. فكم من أموال تنفق في النذور، وكم يضيع منها في المآتم والافراح، وكم يذهب في تشييد الخيشان والقبور، وكم يصرف في زيارة المقابر، في الاعياد والمواسم، وكم في احياء الليالي للأولياء الميتين في الموالد وغير الموالد، وكم من صدقات تعطى لغير مستحقيها وغير ذلك. انما أعني هذا الصنف من المسلمين فقط لانهم انما يفعلون ذلك اجابة لداعي الخير الذي ينادي فيلبون نداءه في العجلة ولكن بدون ان يقفوا على كنه مايدعون اليه. ولا أعني غيرهم من المسرفين المبذرين الذين يلقون أموالهم في مهاوي اللذات والشهوات، والشرور والمضرات، ولا غير هؤلاء واولئك من البخلاء الجامدين. لسري لو انفق عشر معشار مايتفق من هذه الاموال فيما يحييهم من الاخذ بيد المصلحين ومساعدة مايقومون به من المشروعات العامة لوجدنا بفضل الله أمة الاسلام غيرها اليوم، ولزال ما ألم بها من البؤس والشقاء. لاأقول هذا محاباة ولا نفاقا فاني أخاطبكم مختفيا عنكم وعن الناس: بحثت فلم أجد في الدنيا دعوة الى الحق والاسلام مثل ماتقوم به مجلتكم ولا شخصا حيا وقف نفسه لخدمة الاسلام والحق والانسانية كشخصكم المحبوب. فهل آن للناس ان يعرفوا شأنكم وشأن مجلتكم؟ الا انهم (لو) عرفوا ذلك لالتفوا حول لوائكم جميعا وكانوا لكم من الناصرين، نصبرا أن الله مع الصابرين، والعاقبة للمتقين. والسلام عليكم ورحمة الله

المصري